دعواه
وادعى معه نبوة لا يقبل منه ذلك وليس الا الاسلام او السيف من غير التفات الى
ولا الى خارقة تاتي فائدة في تحقيق هذه المباحث قلت فائدتها تمييز المعجز
من المتطلس من السابقين على زمان نبوته وممن ادعوها في زمان دعوته
عليه الصلاة والسلام كمسيلمة الكذاب والله الموفق لصوب الصواب
ولنرجع الى ايضاح ما وعدناك ببسطه وذلك ان المعتزلة قد الزموا الاصحاب تجويز
صدور المعجزة على ايدي الكذابين من جهة اخرى وهو ان مذهبنا ان الله
تعالى ان يفعل ما يشاء فيضل من اراد ويهدي من اراد فلا يتحتم في حقه
مراعاة صلاح ولا اصلح واذا كان الامر كذلك فما الذي يومنكم من خلق خوارق
العادة على وفق دعوى المدعي للنبوات كذبا ويكون المراد من ذلك اظهار
الضلالات وتنوعت لهم في الجواب عنه المقالات فالقايلون بالمذهب
الاخير فاجابوا على مقتضاه فقال القايلون بالثاني نحن نجوز من فعل
البارئ تعالى الاضلال لكن لا بالمعجزات لاستحالة ذلك منها كما يجوز
خلق السواد في محل معين لكن لا مع وجود البياض في ذلك المحل اذ الجمعية
في النقيضين محال والاضلال بدليل الهداية قلب الدليل شبهة والعلم الحاصل
عنه جهلا وذلك محال وقال القايلون بالثالث يجوز على الله تعالى خلق الضلال
في العباد لكن لا بالخلف في القول واذا كانت المعجزة منزلة منزلة التصديق بكلام
خاص دال على تصديق المدعي الاتي بالهداية امتنعت دلالتها على الاضلال
لاستحالة الخلف في خبره تعالى واما القايلون بالاول فقالوا ان ايه صدق الى
حصول العلم لنا بصدقه مع تلك المعجزة فاذا حصل العلم انتفى معه احتمال عدم
الصدق لان العلم لا يحتمل النقيض بوجه والا انقلب جهلا وتجويزنا عقلا كذب
المحق الذي تيقنا صدقه لا يقدح في العلم بصدقه لان معنى جواز الكذب في
حقه انه لو وقع بدلا عن الصدق الواقع في حقه لم يلزم منه محال لا ان معناه
احتمال وقوع الكذب في حقه وكثيرا ما نعلم وقوع اشياء علما ضروريا مع تجويزنا عقلا
نقيض ذلك الواقع وذلك كعلمنا بوجودنا فانه لا يستريب فيه عاقل واذ كنا
نجوز عدمنا بمعنى انه لو استمر ولم نوجد اصلا لم يلزم منه محال لا بمعنى ان عدمنا
محتمل الحصول لنا حال علمنا بوجودنا تكرما اي تفضلا واحسانا فهو مفعول لاجله
عامله اثبتوا قصد به الرد على من اوجب عليه تعالى المعجزة كما اوجب عليه
الارسال ولا البعثة فائدته من قبول قول الرسول والمكلف فاجابه لعدم
تصدق له على دعواه وهو كما ترى مبني على اصلهم الفاسد من التحسين والتقبيح
العقليين وقد سبق ابطالهما وانه تعالى لا يجب عليه شيء لاحد من مخلوقاته
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فان قلت تقديم المعمول يفيد الحصر مع ان تقويتهم
ثابتة

٢٦٠

ثابتة بغير المعجزات كثباتهم في الحروب حيث كثر الابطال وتوقف الاعداء عنهم
وصدهم من غير قتال قلت فقد حملنا الثابتة على اثبات نبوتهم او رسالتهم
وحينئذ فالحصر مستقيم على ان الانسب اعتبار نكتة التقديم في الحصر اذ من فوائده
الاهتمام والتاكيد وعليه يندفع ما يقال ايرادا على الحصر انه غير مستقيم لانكم
قد قدمتم ان النبوة تثبت بخلق العلم الضروري في القلب فان قلت ضمير
ايدوا المعنى النائب عن الفاعل مرجعه اما الانبياء واما الرسل وهو عام فيكون
هو ايضا كذلك لامتناع عود الخاص على مفسر عام من حيث هو كذلك
والحكم على العام كلية لا كل على الراجح فيلزم ان يكون كل فرد فرد من الانبياء او
الرسل قوى واثبتت نبوته او رسالته بمعجزات لشبه لا بمعجزة وهو قيد
في عامله بل رتبها اوهو الكلام شرطية تعدد المعجزات في ثبوت ذلك وشيء من
اللازم غير ثابت قلت ان جعلت ال في المعجزات للاستغراق فالجواب
ان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الاحاد على الاحاد على حد قولهم ركب القوم
دوابهم ولبسوا ثيابهم اي ركب كل واحد منهم دابته الخاصة به ولبس ثوبه
وان جعلت للجنس كما اشرنا اليه فلا اشكال فقد صرح سيبويه بان ال الجنسية
تبطل معنى الجمعية ويتمحض دلالته على الماهية والله تعالى يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم ولما كانت العصمة واجبة في حق الانبياء والملائكة تعرض
لذلك فقال وعصمة الباري وهي لغة المنع والحماية ومنه عوام الطير لمنعها
نفسها ممن يصيدها وعصام القربة لوكائها لانه يمنع ما فيها من الانسكاب
واصطلاحا بناء على اصلنا معاشر اهل السنة من استناد الممكنات الى الفاعل
المختار ابتداء ان لا يخلق الله في المكلف الذنب مع بقاء قدرته واختياره قال السعد
وهذا معنى قولهم هي لطف من الله تعالى بالعبد يحمله على فعل الخير ويزجره عن
الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء ولهذا قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
العصمة لا تزيل المحنة قلت ولا منافاة بين تفسيره اياها كما في شرح العقايد
بما مر عنه هو ما مر وتفسيره اياها في شرح المقاصد بما مر حدودي حتى قال
وحقيقة العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها لان لفظ العصمة
كالمشتق منه وسائر اسماء الملكات يطلق تارة على الاثار ان شئت عنها في الجملة
وتارة على مبدا تلك الاثار فالاول للناظر للاول والثاني للثاني وعرفها الحكماء
على اصلهم من الايجاب الذاتي واستعداد القوابل بانها ملكة تمنع عن الفجور
قال فقد عرف بعض اصحابنا بانها ملكة نفسانية تمنع صاحبها عن الفجور
بل ومراده انه احسن تعاريفها قلت من غير منع بذلك فانما مراده انها امر
يحصل بمجرد اللطف والفضل خلق الله تعالى عنده لا به للعبد قدرة فعل الخير

Copyright © King Saud University